الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية

الاربعاء 15 محرم 1424 هـ 19 مارس 2003 العدد 8877

«أم الجوائز»... والحرب على العراق

فؤاد مطر

مقالات سابقة للكاتب
إبحث في مقالات الكتاب

من قبل التأكد حول ما اذا كان شبح الحرب الأسود سيتوارى امام طيف السلام الأبيض وبحيث تصرف ادارة الرئيس جورج بوش الإبن النظر عن الخيار الحربي مستبدلة اياه بالخيار التوافقي، بدأ معهد «نوبل» النرويجي للسلام يستعد منذ الآن لـ«أم الجوائز» ونعني بها "نوبل للسلام". والاستعداد هذه المرة شاق ذلك ان قائمة المرشحين طويلة وتتوزع بين 129 شخصاً.

من بين هؤلاء خمسة لا ندري اذا كانت اسماؤهم واردة في القائمة، لكن ذلك لا يعني انه لا يجوز لكاتب مثل حالنا ان يسمي هؤلاء الخمسة كون الواحد منهم يستحق الجائزة. وعلى النحو الآتي نسجل الأسماء والحيثيات:

المستحق الأول ـ الرئيس جورج بوش الإبن، في حال ارتأى احترام ارادة الرأي العام الدولي من القطب الى القطب بمن في ذلك الرأي العام الاميركي والبريطاني الرافض بشدة للحرب على رغم غسل الدماغ اليومي من جانب طاحونة الإعلام على انواعه التي تبالغ في التهويل والتضليل وتُكثر من تزيين محاسن الحرب.. وكأنما هنالك حسنات لإراقة دماء الارواح التي خلقها الله سبحانه وتعالى لكي تعيش وتسبّح بحمده وتشكر نعمته وتستغفره عن كل خطأ يتم ارتكابه، او معصية يقع فيها المرء من دون قصد، او خطيئة نتيجة اجتهاد وحساب مبني على التهور. وما نقصده باحترام الرئيس بوش الإبن لإرادة الرأي العام الدولي هو توجيه «رسالة الى العالم» بمثل رسالته عن «حالة الاتحاد» يعلن فيها انه رأى في ضوء نظرة على احوال العالم صرف النظر عن الخيار الحربي، وذلك على اساس انه عندما قرر الأخذ بهذا الخيار واعطى الاوامر لتحشيد القوات والآليات وحاملات الطائرات على رمال الخليج وفوق مياه هذا الخليج الذي ينشد الهدوء ولا يناله منذ عشرين سنة، فمن اجل سلامة العالم وضمان استقراره وازدهاره. وأنه ما دام الرأي العام في دول العالم قاطبة عدا استثناءات بسيطة يرى ان الحرب ليست حلاً، فضلاً عن أنها ستؤسس لعالم من الاحقاد والكراهية والحروب الصغيرة وستدمر القيم وتقضي على اجيال تريد أن تحيا بسلام، فإنه سيرضخ للإرادة الدولية وسيجعل من القوات التي ارسلها لكي تحارب، بمثابة جيش للسلام مؤكداً بذلك انه لا يريد الحرب من اجل متعة الحرب وتخمة ثروة النفط وتدعيم الوجود الاسرائيلي على ارض فلسطين وإنما ارادها خياراً يفيد الجميع. وما دام رأي «الجميع» يخالف رؤيته فإنه كحاكم مسؤول عن «النظام العالمي الجديد» يفضل ان يكون خياره من خيار الشعوب. وبذلك يكون نجّى العالم من كارثة الألفية الثالثة وعلى هذا الاساس يستحق جائزة «نوبل للسلام» وبإمتياز لأنه كان يملك بتوقيع لا يستغرق ثانية إشعال حرب قابلة لاستنساخ حروبا على مدى القرن الواحد والعشرين. وإذا فعل الرئيس صدام من جانبه ما يجعل الحرب لا تحدث مفدياً بنفسه كارثة تصيب العراق والأمة فإنه يتناصف "أم الجوائز" مع غريمه الرئيس بوش.

المستحق الثاني ـ مناصفة بين الرئيس الفرنسي جاك شيراك والمستشار الالماني غيرهارد شرودر اللذين إفتديا بصدريهما الحرب التي كان يمكن حدوثها قبل ثلاثة اشهر لولا انهما اتخذا وقفة مبدئية تتسم بالتوازن حيث انهما أصرا قدر استطاعتهما على إسقاط الخيار الحربي وإفساح المجال امام الحوار السياسي والتفتيش المتأني في أرجاء العراق عن اسلحة الدمار الشامل، وفي الوقت نفسه عدم تغييب الاهتمام عن القضية الأكثر اهمية وهي القضية الفلسطينية التي من الضروري بذل الجهد المخلص من اجل ايجاد الحل المتوازن لها، مقدمة لحسم الصراع العربي ـ الاسرائيلي في ضوء ما تنص عليه القرارات الدولية.

وعلى رغم المخاطر الناشئة عن الوقفة الفرنسية ـ الالمانية المشتركة والتي استقطبت رأياً عاماً عريضاً ودولاً كانت مترددة، فإن الاندماج الاميركي ـ البريطاني في اتجاه الخيار الحربي استمر محموماً.

المستحق الثالث البابا يوحنا بولس الثاني رئيس الكنيسة الكاثوليكية الذي قاد «انتفاضة مسيحية» ضد الحرب معتمداً سلاح النصيحة والصلاة وإستنفار بقية الكنائس بحيث بات الموقف الكنسي موحَّداً كما لم يحدث من قبل وكما لا يحدث مع المذاهب والطوائف الاسلامية. وعندما تقف الكنيسة البروتستانتية داخل بريطانيا ثم داخل الولايات المتحدة الى جانب الكنيسة الارثوذكسية مع انتفاضة رئيس الكنيسة الكاثوليكية، اي بابا الفاتيكان، ضد الحرب فهذا معناه ان هذه «الانتفاضة» قطعت الطريق على عداوة اسلامية ـ مسيحية سيكون شرُّها مستطيراً على نحو رؤية البابا يوحنا بولس الثاني الذي ينبه من خطورتها منذ ان بدأ «انتفاضته» التي نشير اليها. ومثل هذا الجهد من جانب الرئيس الروحي للعالم الكاثوليكي يشكل حيثية لكي تكون «نوبل السلام» من حصته.. فضلاً عن انه سيكون لافتاً للانتباه حصول احد باباوات الفاتيكان للمرة الاولى على «ام الجوائز».

المستحق الرابع ـ ولي العهد السعودي الامير عبد الله بن عبد العزيز الذي تحولت رؤيته في شأن الصراع العربي ـ الاسرائيلي الى مبادرة حظيت بإجماع العالم العربي وباتت في ضوء هذا الإجماع قاعدة لوضع العملية السلمية الجدية على الطريق الصحيح. واذا كانت الادارة الاميركية لم تغتنم الفرصة وتعمل جاهدة على الأخذ بالمبادرة ووضعها موضع التنفيذ وبذلك تنشر الاستقرار والسلام في منطقة الشرق الاوسط وفي العالم عموماً، فإن ذلك يحمّلها ويحمّل حليفها اارييل شارون وزر الاضطراب الحاصل في العلاقات الدولية، فضلاً عن ان عدم اغتنامها الفرصة على رغم كثرة وعود الرئيس جورج بوش الإبن في هذا الشأن سيتسبب في تراجع فرصة الحل العادل والشامل للصراع العربي ـ الاسرائيلي وسينعكس التراجع سلباً على السمعة الاميركية وعلى قدرة التأثير الاميركي في المحيط الدولي.. وحتى على اصدقاء اميركا التقليديين في العالم. ولا بد من الاشارة الى ان ولي العهد السعودي ألحقَ المبادرة المشار اليها والتي نشأت من رؤية موضوعية تكونت في خاطره قبل ان تصل الى القمة الدولية الثانية في بيروت في 24 آذار (مارس) 2002 وتتبناها كموقف يمثل الأمة، بـ«الميثاق الاصلاحي» الذي في حال الأخذ به سيشكل المزيد من الدعم لتلك المبادرة. ولقد كان مؤسفاً كثير الأسف ان هذا الميثاق لم يأخذ فرصته في القمة العربية في «شرم الشيخ» إلاّ ان ذلك لا يعني وضعه على الرف وذلك لأن الاصلاح مطلوب ولأنه دعامة للاستقرار والسلام في المنطقة التي اظهرت التطورات مدى اهميتها وكيف انها قادرة على ان تجعل العالم من القطب الى القطب يتزلزل. ومثل هكذا رجل دولة قال في قمة «شرم الشيخ» كلمة الحق في شأن الحرب وهي «انها هزيمة للقيم وأن القاتل والمقتول في الحروب شركاء في الهزيمة» وقال ايضاً «لنتذكر أن الرصاصة اذا انطلقت لا يمكن لها في خضم الفوضى ان تميّز بين البريء والمذنب، الرجل والمرأة، الشيخ والطفل... هي في كل الاحوال لا بد من ان تستقر في مقتل، وأعوذ بالله من اراقة الدم الذي عصمه الله»... ان مثل هكذا رجل دولة يجمع الحكمة مع بعد النظر ويكون الى جانب رأيه الوجداني في الحرب وراء تلك المبادرة وصاحب «الميثاق الاصلاحي»، تليق «ام الجوائز» به بقدر ما يليق هو بها.

المستحق الخامس ـ هو «الإنسان العالمي» الذي احدث بالتظاهرات وحدة موقف انساني جمعت الاميركي الى جانب الاوروبي الى جانب الاسيوي الى جانب الافريقي الى جانب الاوسترالي في بوتقة واحدة ضد الحرب. وفي هذه التظاهرات كان الخوف على الاجيال هو الدافع الى التعبير بعفوية عن معارضة الحرب. ومن اجل ذلك رأينا وحدة اديان ومذاهب سماوية ودنيوية، ورأينا الجد والأب والحفيد، ورأينا الجدة والأم والصبية، ورأينا الممثل السينمائي ورجل الدين والموظف العادي والأديب والأكاديمي والشاعر.... رأينا هؤلاء جميعاً يشاركون في التظاهرات ويرفعون الصوت عالياً باسم القارات الخمس ضد الحرب. وإزاء ذلك فإن منح «ام الجوائز... نوبل للسلام» الى «الإنسان العالمي» هو عين الصواب على ان يتم اختيار خمسة اطفال من الجنسين يمثلون القارات الخمس لتسليم الجائزة لهم.

ويبقى ان هذه الترشيحات قد تسبق الحرب او تتزامن مع بدئها، كما ان هذا الكلام الذي اوردناه قد يبدو مثل لوحة تجريدية ويتم قوله بينما الصواريخ على اهبة الفتك بالبشر والحجر من اجل النفط وحباً بالانتقام وتكريساً للهيمنة. ولكن أليست هذه اللوحة تبقى أفضل من المشهد المرعب للعالم الذي يبدأ ألفيته الثالثة تحت نار الحرب؟

مشاركة >> <
Tweet

بريـد طبـاعة